في سبيل تطوير تجارب الفلسفة الموجهة إلى الأطفال في العالم العربي

المؤلف: رشيد العلوي – المغرب

"جميع الآراء الواردة في هذا المقال تعبر عن المؤلف وليست مسؤولية معهد بصيرة أو دار بصيرة للنشر أو أي جهات أخرى متصلة بها من الجهات والهيئات الثقافية التنظيمية أو المانحة وغيرها"

تُرجمت المقالة بعد الحصول على الإذن الخطي من المؤلف.

لا يُخفَى عليكم التزايد الملحوظ على أهميَّة تدريس الفلسفة للطفل رغم أن المبادرات التي تهدف إلى تحقيق هذا المشروع في المنطقة العربيَّة لا تزال ضعيفة نسبياً، إلا أنها تندرج ضمن الممارسات الفلسفيَّة الجديدة فيما يشبه يقظة تربويَّة تُناشد التسرِيع ببلورة مشروع متماسك ومتفق على الخطوط العامة التي تأخذ بعين الاعتبار خصوصيَّة كل بلد على حدة.
سوف أركز في هذه الورقة على بعض التجارب أو المبادرات التي تشهدها المنطقة قبل عقد ونصف، لأتمكن من رسم صورة قد تسعفنا في النقاش لبلورة الرؤى وتقريبها والخروج بتوصيَّات عامَّة مفتوحة للتداول، مع تناول بعض القضايا التي أراها أساسيَّة في النقاش الجاري في مجتمعاتنا.

1_ تجرّأ على التفكير بنفسك

لقد اشتهرت الفلسفة بأنها فكر معقد، ولهذا السبب يهجرها البعض، إذ يعتبرونها ميداناً شدِيد الضبابيَّة، وربما شدِيد الغموض، ولا يجنون منها فائِدة. وهناك في المقابل آخرون يسعون إليها للسَّببٍ ذاته، فيلجون دروب التفكير ومنعرجاتِه، وقد يكون مسعاهُم في ذلك هو الهروب من واقع يعتبرونه قاسياً للغاية ومخيباً للآمال. ولئِن كانت الفلسفة كذلك أي مجالاً معقداً وصعباً، فليس ذلك بموجب تركيبها أو جوهرها، وإنما على العكس من ذلك لبساطتِها، إذ ليس من السَّهل أن يكون المرء بسيطاً. فهي تفترض فحصاً دقيقاً وأصالة كبرى وشجاعة أكيدة للنهوض بالحريَّة وتحمُّل المسؤوليَّة، والمُخاطرة، والقابليَّة للوقوع في الخطأ.

يحثنا ديكارت على أهميَّة البداهة والتفكير العقلاني الذي يبدأ من البسِيط إلى المعقَّد، على عكس فلاسفة الاختلاف الذين يحثوننا على استعمال مناهج عقليَّة ومنطقيَّة غاية في التّعقِيد، وهو ما يبجِّله البعض إلى أن غدت الفلسفة تفكيراً من اختصاص أهلِه ومجرد مفرداتٍ ومفاهيمٍ يتوجبُ استعمالها لبيان درجة التفلسف وكل ما كان المفهوم مركباً ومعقداً كلَّما أشعر الفيلسوف نفسَه أنه يتفلسف جيّداً، في حين أن القدرة على جعل التفكير الفلسفي مبسطاً بالقدر الكافِي هو أكبر عمليَّة معقدة في الممارسة

الفلسـفيَّة، لمـا يتطلبـه إعـمال هـذا التفكـير مـن رزانـةٍ وممارسـة واختبـار مسـتمرين، لأن المُـمارس لفِعـل التَّفلسـف في نظـري هـو الـذي يستطيع شدَّ انتباه المتفلسِف الصّغير وتحفِيزه على المزيد والمزيد من التفكير المستقل.

لـيس التفلسـف إذن مراكمـة للمعـارف حـول الفلاسـفة، ولا قـراءة لجميـع الكُتـب، ولا يُختـزل في تشـغِيل بعـض القـدرات الفكريّـة اسـتنادا إلى العقل. إن التفلسف هو أولا وقبل كل شيء دخول في تحرّ وجودي، وسعي حازم إلى الأصالة والحقيقة.

2_ ما وراء التعليم الفلسفي الكلاسيكي

هـل تسـتطيع الفلسـفة أن تخـرج مـن المدرسـة إلى الشـارع، كـما خرجـت مـن الجامعـات إلى الثانويـات؟ لا تـزال العديـد مـن الـدول وأساسـاً أمريكـا تعتقـد أن بدايـة تعلـيم الفلسـفة يبـدأ مـن السـنة الأولى جامعيّـة، في حـين أن أغلـب التجـارب الدوليّـة عمَّمـت تدريسـها في الثانويات كما هو الحال في مجتمعاتِنا.

يبـدو بـديهياً أن النّقـاش حـول تـدريس الفلسـفة للأطفـال في تجاربِنـا لا يـزال في مرحلتـه الأولى عـلى الـرغم مـن الجهـود المبذولـة لتطـويره وتعميمه، وهو نقاش ينصب حول:

- فهم ماهيّة هذا النوع من التدريس؛
- صلاحيّة وجدوى التفلسف للأطفال؛
- الآليات التي يمكن اعتمادها في هذا النوع من التدريس؛
- نوع التكوين الممكن للمكونين والممارِسين المحتمَلين: برنامجه ومحتوياته وآليات إنجازه.

مـن المؤكـد أن المقاربـات التطبيقيَّـة للفلسـفة متعـدِدة، غـير أنهـا تشـترك كلهـا في جعـل التفكـير تمرينـاً متصـلاً بـالآخرين. وبفضـل هـذه التطبيقـات تصـير الفلسـفة حيَّـة وشـعبيَّة تهـم كـل واحـد مـن النـاس، ولـيس نخبـةَ مـنهم فقـط. فـالمقهى الفلسـفي، والصـالون الفلسـفي، وحلقـة الفلسـفة، والفلسـفة فالزنقـة، والفلسـفة في المستشـفى، والفلسـفة للأطفـال، والاستشـارة الفلسـفيّة، والفلسـفة في المقاولـة. كلهـا ممارسات جديدة تسعى كل واحدة منها أن تفرض نفسها وأن تثبت أنها قادرة على مزاحمة ومنافسة التعليم الكلاسيكي للفلسفة.

فـبم يتعلـق الأمـر، إذن؟ هـل هـي حقـاً مجـالات جديـدة اقتحمـت الفلسـفة؟ أم أن الفلسـفة هـي التـي اقتحمـت هـذه المجـالات وفرضـت نفسـها؟ هـل هنـاك حاجـة إلى تـدخل الفلسـفة كحارسـة للمعبـد وكطبيـب معـالج؟ لمـاذا اقتحمـت الفلسـفة مجـالات لم تكـن مهتمة بها من قبل؟ هل لخصت نفسها في مجالات اشتغالات خارج الفلسفة كما يقول دريدا؟

كثـيرا مـا نـادت حنـة آرنـت Hanna Arendt، إلى تجديـد الشّـرط السـيّاسي للإنسـان الحـدِيث، أمـام موجَـة التصَّـحُر التـي عصـفت بالمجتمعـات الإنسـانيّة في القـرن العشـرين، وإليهـا يعـود الفضـل في نحـت مفهـومين رئيسـين: "**الحيـاة النّشـيطَة**"، كإجابـة عـلى غيـاب التفكـير أو العـوز عـن التفكـير، و"**الحـق في كافـة الحقـوق**" الـذي اسـتعارته **جوديـث بتلـر Judith Butler** لبنـاء أطروحتهـا حـول "**حقـوق اللاَّجئِين**"، لتعزيز الحاجة إلى "**كونيَّة بديلة**".

يتعلق **المفهوم الأول** بضرورة إعادة الاعتبار للسيّاسة، من منطلق أن الفلسفة كانت دومًا بصُحبة الفِعل السيّاسي إلى انبثاقه: فهل يمكن القول إن تشييد أفلاطون للأكاديميّة مَكَّن الطبقة السيَّاسيَّة التي أعدَمت سقراط من قبر الفلسفة في دهاليز المؤسَّسة التعليميَّة؟ ويتعلق **المفهوم الثاني**، بكون تطور تدريس الفلسفة - أو ما يصطلح عليه بالفلسفة المدرسيَّة - قد خضع لاعتباراتٍ سيّاسيّة محضة، بحيث لم تعد مادة لتنميّة القدرات النقديّة ومهارات التفكير والتعبير الحُر، وإنما مادة كغيرها من المواد، تؤدي وظيفتها الآيديولوجيَّة والسيَّاسيَّة لضبط الناشئة والتلاعب بطاقاتِها الإبداعيَّة. إلا أن علاقة الفلسفة بالمؤسَّسة التعليميَّة لم تكن دومًا علاقة تطويع، ومن الصعوبة القول إنها استطاعت أن تدمج الفلسفة في نسقِها النِّظامي العام، ولكنها أنتجت_ طِوال تاريخ تدريسها _ فلاسفة تحرَّروا من قِبضة المُؤسسة، فلاسفة كانت شِيمتهم الباديَّة: "الشَّغب". فلاسفة رفضوا قوالِب المُؤسسة وإغراءاتِها، ومارسوا النَّقد اللاَّذِع في حق المؤسسة، وخلخلوا بنيات التفكير العامِّي والعالِم معًا.

ليس غرضنا هنا، بيان تاريخ غزو الفلسفة للمجالات الجديدة، ولا الرهانات التي تفترضها في نشاطاتها الجديدة، لأن ذلك يستدعي عملاً مُفردًا، وإنما غرضُنا هو محاولة التفكِير في هذه الإشكاليّة التي فرضت نفسها علينا. لذا أمكننا تفسير ولوج الفلسفة للمجالات الجديدة بما يلي:

- تطور تعليم الفلسفة وتعميمه وإجباريته؛
- رهان بعض المؤسسات العالميّة المهتمة بالفكر على الوظيفة السيّاسيّة للفلسفة، أي دورها في الترويج للفكر اللِّيبرالي والديمقراطيَّة اللِّيبراليَّة، والوقوف في وجه الأنظمة الشموليَّة والكليانيَّة؛
- ظهور فلسفة ما بعد الحداثة، ودورها في مجاوزة الميتافيزيقا وتفكيك الأنساق الفلسفيَّة الكبرى؛
- تراجع التعليم العتيق في مختلف بلدان العالم، وتطور التعليم الحديث وما له من انعكاسات على التعليم الدِّيني، الذي كان يلعب دور حارس المعبد الأول والأقدم؛
- ظهور نُخب جديدة لا تجد نفسها في السَّاحة الرسميَّة، ولم يجر إدماجها في أجهزة الدول. وبعبارة أخرى، مقصيَّة عنوة لما تشكِلُه من خطرٍ محدق على الغايات الكُبرى للفِعل السيَّاسي المؤسسي؛
- تعزيز الحقوق الكونيَّة وضمان حريّة التعبير في بعض الدول الديمقراطيَّة، التي تؤمن بحاجتها إلى الفكر النقدي، لضمان استمراريّتها ودور ذلك النقد في تقويم اعوجاجِها؛
- دمج منطق التفكير الفلسفي في مواد أخرى من دون الإخلال بمهامِها، أو الخروج عن غاياتها (صيغة الامتدادات والمواد المتآخيّة).

لا يسعنا هنا الوقوف على مجمل العوامل التي ساهمت في تزايد الطلب على الفلسفة، لأن الأمر يستدعي تمعنًا دقيقًا وقاعدة معطيات موضوعيّة. وتكفي الإشارة هنا، إلى أن المساهمات كثيرة في هذا المجال، ولكنها لا تستطيع أن تقدم تفسيرات فعليّة لولوج الفلسفة لهذه الفضاءات الجديدة، لأنها غارقة في تبرير الحضور لا غير.

BASEERA INSTITUTE

3_ فاعِّلون جدد أوفياء للفلسفة

يقبع وراء كل مبادرة، فاعلون وجنود خفاء، حريصون على الوفاء للفلسفة. فثمة منذ ما يقارب الثلاثة عقود، مبادرات كثيرة أقحَمتِ الفلسفة في فضاءات عموميّة وخاصّة، وراكمت تجارب _ لا يستهان بها _ بدأت تتناسل في مختلف بقاع العالم. ولا يمكن تفسير ذلك إلا لكون الفلسفة بالتعبير الذي صار عاميًّا وأُفرِغ من محتواه ومضمونه: "**الفلسفة أم العلوم**"، تسعى وراء حشر نفسها في كل شيء. وهذا دليل على أزمة الفلسفة أي طبيعة هويتها. فأمام التقدم الهائِل والمروع للعلوم، لا يسع الفلسفة إلا الدفاع عن هويتها والبحث عن موطئ قدم في مجالات جديدة.

يسعى الفاعِل الفلسفي الجديد الذي يعمل على تجديد قضايا التّفلسف والمزاوجة بين ممارسة التأمُل الفلسفي المعتاد والممارسة العمليَّة لها، والذي لا يعدو كون المتقدمين إلى المشاركة في هذا المؤتمر إلا جزء رئيساَ سيساهم في ترسِيخ تقليد جديد لا يدعي الانسلاخ عن التقاليد المعتادة بل ينعشها ويطورها ويدعمها ويسعى إلى تلبيَّة احتياجات فكريّة وعقليّة ووجدانيّة _ عاطفيّة للأجيال القادمة والتي غزتها وستغزوها الوسائل التكنولوجية بكثافة إلى الحد الذي سيصيرون مع إدمانِها قطيعاَ يستسلم للنَّزعة الاستهلاكيَّة المتناميّة بجرأة زائِدة والتي ستُفرز نوعاَ جديداَ من الاستبداد في مختلف المجالات عِماده وسلاحُه الوسائل التكنولوجيَّة بمختلف أنواعها، وهو ما يدعِّم اهتمام الفلسفة بتطوير وسائِلها وطرقِها لطرح السؤال بكل جرأة لزعزعة اليقين الأعمى للرأسماليَّة المتوحشة في إمكانية الضبط الشّامل للكائِن وتوسيع البون الشّاسع بين الطبقات والفئات الاجتماعيّة عبر الاستبداد الاجتماعي المبنِي على سلطة المال والتحكم في الموارد. وبذلك سنكون في مواجهة ضيق الأفق وتوسيع الأمل في مستقبل أفضل، وإضفاء المعنى على اللاّمعنى وإقرار النسبيّة أمام الفكر الشمولي والأحادي والمطلق والتأسِيس لثقافة الاختلاف والتنوع والتعدُد وإمكانيّة العيش المشترك والوجود معاَ بدل التقوقع والاستسلام لقدر فرض علينا أو هكذا يتم الترويج له.

ستنفتح أمامنا آمال جديدة بفضل صبرِنا وقوتِنا وتوحيد جهودنا والسَّير معاَ لإنجاح هذا المشروع.

4_ عودة إلى وظيفة الفلسفة

لماذا ندرِّسُ الفلسفة؟ هل ندرِّسُ الفلسفة للشباب المتعلم بغرض حصولِه على الشهادة - الدبلوم، أم لتوجيه الشباب نحو استكمال دروس الفلسفة في الجامعة والتخصُّص فِيها؟

ينظر إلى الفلسفة بما هي خطاب نظري صِرف من طرف أغلب المشتغلين بها والذين تعرفوا عليها في الدروس الجامعيّة ولم يتساءلوا يوما ما كان هدف سقراط **socrate وابيكتيتوس Epictète وأبيقور Epicure** إلى جانب **السوفسطائيين** الذين يجولون الشوارع بحثا عن محبي الفلسفة، فالفلسفة لم تكن كما أصبحت عليه اليوم، في بعض الأحيان، هي مجرد لعب نظري خالص، مناسبة للتألق في تحليل فلسفي أو في كتابة مقالة أو في تأليف كتاب. لقد كانت تستلزم اشتغالا على الذات ومجابهة للواقع، وفهم العالَم المحيط بنا عن طريق العقل يمكننا بكيفية أفضل من أن نجد فيه مكانا، وأن نثبت فيه فرديتنا في نطاق حدودنا التي نعلمها.

مـن المؤكـد أنـه كـيفما كـان الغـرض، فـإن هـذه الوظيفـة تظـل نفعيّـة محضـة. فالحصـول عـلى معـدل للنجـاح، لا يعنـي أبـدا الـتَّمكُّن مـن مهـارات التفكـير. ومـن المؤسـف أن مـا آل إليـه درس الفلسـفة في التعلـيم الثـانوي، اليـوم، الـذي اختزلهـا في المراقبـة والتقـويم، كغيرهـا مـن المواد، إنمّـا هـو نـاتج عـن النفعيّـة العميـاء التـي صـارت قـدرًا محتومًـا نسايره عـن وعـي أو عـن غـير وعـي. أمـا اسـتكمال الدراسـة في شـعبة الفلسـفة في الجامعـة، فهـو مـرتبطٌ أشـدَّ الارتبـاط بتوجيـه سـيّاسي مقصـود ومحكـوم، أغلـب الظـن، بولـوج عـالم التـدريس أي عمليـة إعـادة الإنتاج. وهذا ما انعكس سلبًا على الدرس الفلسفي في الثانوي والجامعي معًا.

أليس حريا بنا الرهان على الدرس الفلسفي لتوجيه المتعلم وجهة أخرى؟ ألا يمكن أن تؤدي الفلسفة وظائف أخرى نبيلة؟

كلنـا يعلـم أن المتعلمـين جمـيعهم، لا يمكـنهم اسـتكمال الدراسـة في الفلسـفة، كـما لا يمكـنهم جميعـا محبـة الفلسـفة. ولكـن درسًـا ناجِحًـا وتعليـمًا صـادِقًا، يمكـن أن يجعـلا مـنهم فلاسـفة في حقـولهم. لأننـا نعـرف جيّـدًا، أن التعلـيم يـرتبط - مـما لا يـدع مجـالا للشـك - بولـوج عـالم الشـغل. وبنـاءَ عليـه، كيـف يمكننـا أن نجعـل الفلسـفة محبوبـة لـدى الجميـع؟ وكيـف يمكننـا أن نقحـم الفلسـفة في حيـاة المـتعلم؟ كيـف يمكـن لطالـب في كليـة الطـب أن يحـب الفلسـفة، وأن يكـون وفيًـا لهـا مـن دون أن يسـتكمل دراسـته الجامعيّـة في الفلسـفة؟ وكـذلك الأمر بالنسبة للفنون والرياضيات ومختلف الشعب العلمية والأدبية على حد سواء؟

5_ المجازفة منطلق للتفلسف

بعـد أن دشـنا تجربـة أولمبيـاد الفلسـفة الخـاص بمسـتويات التعلـيم الثـانوي التـأهيلي في المغـرب سـنة 2008، وانطـلاق الفلسـفة في الزنقـة 2011، شـكل النقـاش بـين فئـة معـدودة مـن المهتمـين بالفلسـفة حـول الممارسـات الجديـدة أساسـاَ للاهـتمام بتـدريس الفلسـفة للأطفـال، والـذي لا يـزال محتشـماَ ولكنـه في طـور التجريـب والاختبـار رغـم كـل الصـعوبات بحيـث أن الاعتقـاد بـإقرار وزارة التربيـة لهـذا النـوع مـن التعليم ليس أمراَ سهلاَ كما هو الحال في تونس التي كانت جريئة في إعلانها ضرورة هذا النوع الجديد من التدريس.

•الطريق الأنسب

لا يوجـد أبـداَ طريـق واحِـد ونهـائيٍ لأي تجربـة، فكـل تجربـة وتطبيـق هـو ولادة جديـدة لشيـء مـا لا يدركـه إلا المشـاركون فيهـا، لـذلك أعلـم أن الانطـلاق مـن قواعِـد جـاهزة سـلفاَ ومـن أحكـام قِيمـة لا يفيـد الممارسـات في شيء بـل قـد يحـول دون تطويرهـا وهـو مـا يسـتلزم دوماَ تقييمها وفتح النقاش حولها والعمل على تقدمِها وتقاسمِها كما نفعل اليوم في هذا الملتقى.

لم تكـن المبـادرات التـي قمـت بهـا بمعيَّـة مـن تقاسـم معـي الهـم إلا حقـل تجـارب إن جـاز هـذا التعبـير، وكانـت عبـارة عـن شِـقين: **الأول** يخـص لقـاءات ونـدوات ونقاشـات وبحـوث انصبـت عـلى التأسـيس النظـري والمعـرفي للممارسـات الجديـدة كـما عرفناهـا مـن تجـارب دوليّـة عِـدة؛ **والثـاني** انصـب عـلى تطبيقـات عبـارة عـن ورشـات فلسـفيّة اعتمـدت أسـلوب التفاعـل بـين أعضـاء الورشـة فـيما بيـنهم، و ورشـات تجريبيّـة في التعلـيم الابتـدائي وكـان أهمهـا التـي أنجزتهـا مـع ذ سـعيد ناشـيد وذة عائشـة عبيـد داخـل مؤسسـة تعليميّـة عموميّـة، وبمعيـة فريـق **لـورانس بـوشي Laurence Boucher** في أكـثر مـن مدينـة، هـذا إلى جانـب بعـض حِصـص العـلاج النّفسيـ بمعيـة أحـد المختّصـين، وبحـوث تخـرج وتـدريب المختصـين النفسِّـيين والاجتماعيِّـين العـاملين في قطـاع التعلـيم المـدرسي، أمـا تجربـة أولمبيـاد الفلسـفة فكانـت

اللّبنـة الأولى والتـي نحـاول _ كمـؤطرين تربـويين ومدرسـات ومدرسـين ومهتمـين _ تطويرهـا نسـخة بعـد أخـرى، وهـي وحـدها التجربـة ذات الطابع المؤسسي.

اعترضـتني في البداية مـن خـلال هـذه الممارسـات جملـة عراقيـل واحباطـات بـل وتوجسـات مـن الجـدوى، وبعـد مـدة قصيرة تبـين أن هـذا الاتجـاه صـائب ومـن الواجـب عـلي اتمامـه، ففـي كـل مناسـبة يـزداد لـدي اليقـين أن ولـوج مجـال الممارسـات الجديـدة للفلسـفة لـيس هيّنـاً، وأن كـل مـا تعلمتـه مـن دروس الفلسـفة يجـب تحويلـه إلى أسـئلة فلسـفيّة دقيقـة جـداً ومناسِـبة يمكنهـا أن تحظـى بالتفاعـل الإيجـابي لدى المشاركين.

تمكنـت مـن تجـاوز البـون الشّاسـع بـين التلقـين الكلاسـيكي للفلسـفة وبـين خـوض غـمار الممارسـات الجديـدة، وأدركـت أن بيـنهما نقـاط تلاقـي لا حصر لهـا، فـلا أحـد مـن المجـالين يـبخس مـن قيمـة الآخـر، فإلقـاء محـاضرة في جامعـة أمـام جمهـور مـن المختصـين والأكـاديميين، لا يعـدم إمكانيـة تنظـيم أوراش فلسـفية للأطفـال، ولعـل المنـاظرات الفلسـفية لمـتعلمات ومتعلمـي المرحلـة الثانويـة خـير دليـل عـلى ذلـك وسنعمل في السـنة المقبلـة عـلى إنشـاء نـواد فلسـفيَّة داخـل الثانويـات همهـا الأسـاس هـو كـل مـا يتعلـق بالمنـاظرة الفلسـفيّة كقاعـِدة أوليَّـة لتطوير المناظرات الرسميّة الخاصة بالأولمبياد وجعلها أكثر منهجيّة ومتعددةٍ الطرق والأساليب.

•المواجهة الأولى

أول مـا يواجـه الطفـل في الورشـات الفلسـفيّة هـو الغايـة. لقـد اعتـدنا عـلى نمـط كلاسـيكي مـن الأوراش لا يعـدو كونـه ورش صـباغة أو موسـيقى أو رسـم أو رقـص أو مـا شـابه ولكـن ورش التفكـير الفلسـفي، شيء جديـد، فـما الـذي يمكـن أن يمثلـه للمـتعلم مـن هكـذا نشـاط؟ مـا الغايـة منـه؟ هـل هـو صـحيح أن لـه الحـق في اتخـاذ القـرار وفي التعبـير عـن رأيـه؟ مـا هـي الطريقـة الأنسـب للانخـراط في هـذا النِّقـاش الجديد؟

يـدرك الطفـل أن لديـه عـدة مخـاوف مُترسِّـبة: الخـوف مـن عـدم المعرفـة، الخـوف مـن الوقـوع في الخطـأ، الخـوف مـن قـول التفاهـات، الخوف من حكم الآخرين عليه، الخوف من الأستاذ

إنهـا مخـاوف مشروعة ويصعب عـلى الطفـل أن يعيهـا تمـام الـوعي أول الأمـر ولكنـه مـع الممارسـة تتولـد لديـه الشـجاعة لمواجهتهـا، هكـذا تسـتطيع هـذه الورشـات أن تنفـذ إلى مؤسسـة هامـة مـن المؤسسـات الاجتماعيـة ألا وهـي الأسرة، فالطفـل بكـل عفويتـه يتقاسـم ويشـارك تجاربه الجديدة.

BASEERA INSTITUTE

6_ نوع الممارسات / التطبيقات الفلسفيّة الجديدة

أ _القصّة الفلسفيّة

تناسلت في العالم العربي في السنوات الأخيرة قصص فلسفيّة موجهة للأطفال، وهي متنوعة من حيث اتجاهاتها وغاياتها ولكنها تجتمع حول فكرة إيصال فكرة الفلسفة للطفل في مراحل مبكرة من حياته وقد كان مؤتمر القصة الفلسفيّة الموجهة للأطفال بتونس الذي نظمه منتدى أدب الطفل سنة 2018 مناسبة لتبادل الآراء في هذا الاتجاه. تتمحور مجمل القصص حول حياة وأفكار بعض الفلاسفة وحول حكايات خيالية تهتم بالقضايا الفلسفيّة، ويمكن تطويرها والرقي بها.

ب_ الورشة الفلسفيّة

تعددت المناسبات في هذا الاتجاه الذي يؤمِن بطرق محدَّدة لجعل الطفل المتفلسف في قلب الفلسفة، للتعبير عن رأيه وأفكاره، ولإبراز ذاته ووعيه الخاص, وتتأسس الأوراش على منطق محكم يعتمد التوليد والتفاعل المباشر عن طريق الحوار.

ج_ المقهى الفلسفي

هي مبادرات هنا وهناك يجتمع فيها أفراد من فئات عمريّة متنوعة ومن اتجاهات مختلفة، لمناقشة موضوع فلسفي أو حدث بارز يخص الشأن العام المحلي أو الدولي، أو لمناقشة كتب فلسفيّة معيّنة أو قراءتها، وهي شكل من أشكال غزو الفضاء العام لغاية الدفاع عن الفلسفة وعن شرعيَّة وجودها وإخراجها من حجرات الدرس أو الأنشطة المغلقة / النخبويّة، دون أن يتمخض عن أنشطتها أي قرارات أو خلاصات تهم الاشتغال الفلسفي، فيكفي الشغف الدّافع إلى المشاركة لتقاسم ما لديك مع الآخرين، وهي لا تزال قائمة في العديد من البلدان.

د_ أولمبياد الفلسفة

وهو من الصيغ التي تناسلت أيضا عبر عقود في تجارب مختلفة من دول العالم، بحيث توجد منظمات كبرى خلقت لهذه الغاية وتستند على شراكات مع جمعيات مدرسي الفلسفة أو المراكز والبحوث ذات الصلة بالدراسات والقضايا الفلسفية، ويوجد على الأقل شكلين من الصيغ: أولمبياد مرتبط بقضايا الفلسفة كما هي مدرجة في برامج ومناهج التعليم، وأولمبياد مفتوح وحر تكون الغاية منه حفز المشاركين داخل الأقطار وخارجها على قضايا فلسفيّة تمكنهم من الإبداع والتميز.

هـ_ المناظرة الفلسفيّة

شكل قديم ترسخ في التقليد الفلسفي حيث يتبارى المتناظرون لبناء موقف أو الدفاع عن أطروحة بشكل متماسك ومقنع وعقلي صارم، غير أن تطور هذا التقليد اتجه صوب حفز الشباب والأطفال دون سن البلوغ إلى إبراز الذات والتعبير الحر عن المواقف الفلسفيّة.

و_ الشّاشة الفلسفيّة

توجه سينمائي، يقوده متفلسفة ومخرجين ومؤلفي سيناريو ونقاد السينما والمولعون بالشاشة يدافعون عن الروح الفلسفيّة للسينما، ويوفرون قاعدة بيانات غير موحدة أو خاضعة لمعايير متفق عليها ولكنها متناسبة مع الفكرة الفلسفيّة، فقد لا يكون الفيلم فلسفيّاَ محضاَ ولكن فكرته أو مقطعاً أو مشاهد منه يمكن أن تكون عدة ملائمة للتّوظيف في الدرس الفلسفي.

ان كان من دلالة لتناسل هذه الممارسات الفلسفيّة فهي السعي وراء توسيع مجتمع الفلسفة ما امكن وإخراجها من أماكانها التي عادة ما تكون مغلقة لا يلجها إلا أهلها، فمن هم أهل الفلسفة؟ عادة ما يعترض المتفلسفة على الأدباء والشعراء والفنانين عموماَ حينما يشتغلون على ثيمة فلسفيّة معينة، وبين أخذ ورد تستمر حكاية: "لا علاقة". أي لا علاقة لكل من يدعي انتسابه للفلسفة بالفلسفة، وكأن المتفلسفة يخشون الإزاحة فهم وحدهم لديهم الحق في الكلام باسم الفلسفة وعنها وهم جنودها الأوفياء.

معظم التقاليد التي أرساها التعليم الفلسفي عبر العصور لا تزال مستمرة إلى اليوم من قبيل: الشرح والتفسير والتلخيص والتعليق والتأريخ والتجميع... فمن الذي يحرس هذه التقاليد؟

إن استمرارية الفلسفة لم تنبع وفقط من كونها العلم الأعم والأعلَم، ولا من كونها الوحيدة القادرة على الإجابة عن الأسئلة الميتافيزيقيّة، بل نزعم أن الحاجة اليوم إلى الفلسفة وإلى استمراريتها شيء آخر.

الحاجة إلى الفلسفة نابعة: من القلق الوجودي، ومن التّيه الذي تفرضه الحياة اليوميّة، ومن اجتياح التيكنولوجيا للشأن العام والخاص، ومن فقداننا للخصوصيّة والحميميّة التي هي جوهر الحريّة الإنسانيّة، ومن الفراغ القاتل الذي يسم حياة الأفراد والجماعات، ومن الكسل المطبق الذي عزّزته الوسائل التقنيّة حتى صارت الغايات وبذل الجهد خال من المعنى، فهذا اللامعنى المتنامي في الأزمنة المعاصرة يترك خواء وفراغا مزعجا لكل الناس، بحيث إن الانتقال الذي يحدث اليوم من مجتمع الإنسيّة الكلاسيكيّة إلى مجتمع الإنسيّة الشفافة والمباشرة والتي يصير فيها الكائن مرئيّا دون حدود، هو انتقال من مجتمع قيم تبدو للأجيال الصاعدة متجاوزة إلى مجتمع يبني قيم جديدة دون وعي بأثرها، فالعولمة ساهمت في تعميم قيم الاستهلاك

والرفاهيّة المظهريّة وتناست أن وراء وجود الإنسان ما هو أعمق، فأين الذكاء العاطفي والوجداني أمام الذكاء الاصطناعي؟ هذا الأخير ليس سوى وسيلة من الوسائل ولا يتوجب النظر إليه كحتميّة تاريخيّة تقود البشريّة نحو الأفضل.

حينما نُغيِّب أساس الوجود الإنساني فينا والذي يمكننا اعتباره أرقى ما طورته الفلسفة بحنكة، اقصد السؤال: فالسؤال وحده يمكنه أن يقينا من مخاوفنا المتنامية ومن القلق المستشري، وهو السؤال الذي يهتم أيضا بالبنية النفسيّة والروحيّة للإنسان، بحيث إن هذه الهشاشة المتنامية في أعماقنا ستعمق أزمة الإنسان المعاصر أو الإنسان الرقمي وبهذا تصير الفلسفة علاجاً.

7_ عن الفلسفة الموجهة إلى الأطفال في العالم العربي

يبدو من خلال مجموع الأنشطة التي تنظم في هذا البلد أو ذاك على الحاجة الماسة إلى تكثيف الجهود من أجل تنسيق الاشتغال بروح مستقبليّة تروم التأسيس لفعل جديد بحجم تسميته "**الممارسات الفلسفية الجديدة**" فتنامي المبادرات والهيئات والمنظمات والمؤسسات عامة دليل على الحاجة إلى ترسيخ التقاليد الجديدة التي قد تسعفنا في الرقي بوضع ووجود الفلسفة في هذا العالم الذي تنخره أزمة الهوية والانقسامات وصراع الأقليّات والطوائف، فالكل يبحث عن موطئ قدم للحفاظ على استقراره ووجوده بأي ثمن. تقع مهمة مواجهة هذا التيه الوجودي في صلب الاهتمام الفلسفي فلنكن على موعد مع التاريخ وإلا سيتنكر لنا جميعا.

يبدو من خلال هذا الجمع الرفيع من المهتمات والمهتمين بالفلسفة الموجهة إلى الأطفال أن هناك أملاَ كبيرا للغاية في تعزيز التعاون والشراكة بيننا نحو بلوغ الأهداف العامة التي تحمل الأمل في أمة متماسكة ولصالح شعوب متنوعة ومختلفة ثقافيًا وقيميا بدل الجري وراء النمطيّة والتوحيد الأجوف والمقنع أيديولوجيا_ فالتعدد والاختلاف لا يلغي إمكانيّة العيش المشترك لمواجهة الصعاب والتحديات الراهنة والملقاة على عاتق شعوبنا.

يشهد كل واحد منّا على براعة تجربته وتميزها، وقد نختلف في نوع الممارسات التي نحفزها او نفضلها أو نختبرها، غير أن ذلك مهم للغاية ولا يلغي إمكانيّة تأسيس إطار مدني أو مؤسساتي يدعم أفكارنا وفلسفتنا، فلنفتح الطريق ولنتجه نحو المستقبل بكل ثقة ونفس متفاءل.

لا يمكنني أن أتكلم عن هذه التجارب في ظل وجود أهلها ومؤسسيها ومطبقيها، غير أنني أدعو كل الحضور إلى:

1) التفكير في آليات ترسيخ الممارسات الفلسفيّة الجديدة ودعمها والتعريف بها؛
2) نوعية الأدوات والطرق التي يمكن تبنيها بحسب تجاربنا دون الإخلال بإمكانية تنوعها بدل اعتماد نمطيّة واحدة؛
3) الأسس التي يمكن أن تكون عماد تكوين المكونين من المبادرين والمهتمين بمجال الممارسات الفلسفيّة الجديدة بحسب الحاجيات والأسس المنطقيّة والعقليّة التي لا تخل بمبادئ التفلسف؛
4) الحفاظ على هذا التقليد والتفكير في تنوع مصادره وداعميه للرقي به واعتماده لقاء سنويا للتقاسم والتفكير معا للغايات التي سيطرحها كل منا لهذا المجمع الذي لطالما حلمنا به وقد تحقق اليوم بفضل جهود أشقائنا في تونس، وفي هذا الإطار يمكن العمل على عقد المؤتمر المقبل في بلد آخر مع الأخذ بعين الاعتبار التشاور والتنسيق مع المشاركين اليوم من مختلف البلدان؛
5) مناقشة إمكانية تشكيل هيئة تنظيمية خاصة بالممارسات الفلسفيّة الجديدة وإعداد الأدبيات الخاصة بها ومشاريع قوانينها المنظمة وطرق اشتغالها وعلاقاتها الداخليّة والخارجيّة أو على أقل تقدير الشبكة العربيّة للممارسات الفلسفيّة الجديدة.